من اعلام مدرسة أهل البيت (ع): عثمان بن سعيد العمری «السفير الأول»

پدیدآورده (ها) : الشاکری، حسین
فلسفه و کلام :: رسالة الثقلین :: ربیع الثانی - جمادی الثانیة 1421 - العدد 34
از 184 تا 196
آدرس ثابت : https://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/138356

دانلود شده توسط : مرکز مشاوره
تاریخ دانلود : 26/04/1398

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائهٔ مجلات عرضه شده در پایگاه،مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه قوانین و مقررات استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.

پایگاه مجلات تخصصی نور

www.noormags.ir

عثمان بن سعيد العَمْري

« السفير الأول »

سماحة الشيخ حسين الشاكري

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تمهيد :

قدّر الله سبحانه وتعالىٰ لهذه الغيبة «الصغرىٰ» قبل وقوع الغيبة الكبرىٰ ، ليستأنس الشيعة من أتباعه بمعرفة الإمام المهدي (عج) وليسمعوا آراءه وفتاواه في الدين ، وليطّلعوا علىٰ تواقيعه الشريفة فتترسخ عقيدتهم في القلوب ، بعد أن يتأكدوا من وجوده ، ويعرفوا ما تكون عليه غيبتهُ الكبرىٰ وعهد الانتظار المرّ .

وهي مقدمة لغيبة طويلة موحشة ، يتعرض فيها الموالاة له للابتلاء والتمحيص والاختبار ، وهو ما لا تركن إليه النفوس إذا لم تتدرّب عليه تدريباً عملياً مقنعاً من فمه الشريف ، وإذا لم تتمرس عليه قبل الغيبة

www.noormags.ir

الكبرىٰ باعتقاد وجوده الشريف غرساً عميقاً راسخاً.

وتشير الروايات التي وصفت حياة الإمام المهدي (عج)، خلال فترة الغيبة الصغرىٰ، إلى أنه عليه السلام كان يلتقي سفراءه الأربعة، ووكلاءه المنتشرين هنا وهناك، وأحياناً كان عليه السلام يلتقي ببعض الخواص من شيعته ويحلّ مشاكلهم، علىٰ الرغم من أن السلطات الحاكمة كانت تتحرّاه بأقصىٰ مراتب الدقة، وتراقب سفراءه، ووكلاءه، وتلاحقهم أحياناً بواسطة أجهزتها وجواسيسها، وقد هاجمت داره عليه السلام أكثر من مرة بهدف القبض عليه.

وبعد فشل محاولات المعتمد العباسي التي بذلها للقبض علىٰ الإمام (عج) بتحريضٍ من عمّه جعفر بن الإمام علي الهادي عليه السلام المعروف «بجعفر الكذّاب» وبعد فشل هذه المحاولة، جرّب المعتضد العباسي الذي جاء إلى الحكم بعد تسع عشرة سنة مرّت من حياة الإمام المهدي (عج) فحاول أكثر من مرة ـ كما يبدو ـ من بعض المرويّات أن يقبض عليه في داره، فكان يرسل الجيش تلو الآخر فيحاصر الدار ويفتشها تفتيشاً دقيقاً، وكان الله سبحانه يحول بينه وبين مراده، تكريماً منه تعالىٰ لمن اصطفاهم من عباده، واجتباهم إليه من خلقه.

بالرغم من كل ذلك، فقد كان الإمام المهدي (عج) يجتمع بخاصّته وشيعته، ويحلّ مشاكلهم حسب ما يراه صالحاً لهم، وأغلب الذين كانوا يجتمعون إليه كما تحدثت الروايات كانوا يصابون بما يشبه الذهول والغفلة حين اجتماعهم به لهيمنة عظمة الإمامة، فيغيب عن أذهانهم كونه الإمام (عج) ولا يلتفتون إلى أنّه هو صاحبهم إلّا بعد أن يفارقهم، وأحياناً كان (عج) هو الذي يعرّفهم بنفسه لمصلحة تقتضي ذلك.

وعليه فإن الإمام (عج) خلال الفترة الأولىٰ من حياته المقدسة التي

www.noormags.ir

انتهت بوفاة السفير الرابع الشيخ السمري سنة ٣٢٩ هـ كان له من العمر نحو «٧٥» عاماً، قضىٰ منها مع أبيه نحو خمس سنين، ونحو سبعين عاماً بعد أبيه عليه السلام.

وخلال هذه الفترة لم يكن الإمام (عج) منقطعاً عن الناس انقطاعاً كاملاً، بل كان يتصل بالخواصّ من شيعته، السفراء عند الضرورات الملحّة وبعيداً عن عيون الناس خوفاً من جواسيس وعيون الحاكمين الذين أعجزهم أمره بمشيئة اللّٰه سبحانه وتعالىٰ.

السفير الأول: عثمان بن سعيد بن عمرو أبو عمرو العَمْري الأسدي السمّان.

نُسب إلى جدّه فقيل له: العَمْري ـ بفتح العين وسكون الميم ـ ويقال له: الزيات[1].

وهو من أولاد عمار بن ياسر علىٰ ما أورده صاحب مراقد المعارف[2] نقلاً عن «نزهة أهل الحرمين في تاريخ تعميرات المشهدين» أي النجف وكربلاء، المخطوط للسيد حسن الصدر.

أول سفراء الإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر عليه السلام، والوكيل العام لأبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام، ومن قبله كان وكيلاً لأبيه الإمام أبي الحسن الثالث.

في ابتداء أمره وقف بوّاباً في خدمة الإمام الهادي عليه السلام يوم كان غلاماً في الحادية عشرة من عمره[3]، وقبل هذا خدم الإمام محمد الجواد عليه السلام[4]، ولعل ذلك كان أواخر حياة الإمام، أي يوم كان عثمان دون سن العاشرة.

---

(١) رجال الطوسي: ٣٨٩ رقم ٥٧٤ ط. تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي.

(٢) مراقد المعارف، حرز الدين ٢: ٦١.

(٣) رجال الطوسي: ٣٨٩ رقم ٥٧٤١ ط. تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٤: ٤١٢ باب إمامة أبي جعفر بن علي التقي عليه السلام ط. بيروت المحققة ١٤١٢هـ.

www.noormags.ir

وما في وسائل الشيعة[1] من عبارة أنه : «من أصحاب أبي جعفر الثاني عليه السلام خدمه وله احدى عشرة سنة[2] ، وهو ثقة جليل القدر» وهم منشؤه من رجال العلّامة الحلي[3] الذي تتطابق عبارته مع عبارة الشيخ الطوسي في رجاله[4] والذي ذكر المترجم فيه ضمن أصحاب أبي الحسن الثالث الإمام الهادي عليه السلام ، وقال في نصّ عبارته : «ويقال له : الزيات ، خدمه عليه السلام وله إحدىٰ عشرة سنة ، وله إليه عهد معروف» .

وعلىٰ هذا نستقرب سنة ولادته تخميناً ـ بناءً علىٰ روايتي خدمته للإمامين الجواد والهادي عليهما السلام ـ حوالىٰ سنة ٢١٠ هـ قد تزيد أو تقل سنة أو سنتين أو نحو ذلك ، واللّٰه العالم .

وبقي العَمْري في خدمة الإمام الهادي عليه السلام طوال حياته ، ثم انتقل إلى خدمة ابنه الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ، فكان وكيله العام في تدبير الأُمور والشؤون الدينية للطائفة من قبض الحقوق واستلام الوجوه الشرعية ، والصدقات ، واستلام الكتب وإيصالها وغير ذلك ، بل يظهر أنه كان الوكيل العام لخزانة الإمام عليه السلام ، أي بمثابة وزير الشؤون المالية ، إذ كان هناك وكلاء آخرون في الولايات والنواحي ، كلٌّ يعمل حسب توكيله في منطقته ، ولو أرادوا إرسال الأموال إلى الإمام عليه السلام فإنّهم يرسلونها إلى أبي عمرو السمّان ، فهو واسطتهم الوحيدة مع الإمام عليه السلام ،

---

(١) وسائل الشيعة ٢٠ : ٢٥٢ رقم ٧٤١ خاتمة الكتاب، ط. بيروت القديم، يقابلها ٣ : ٤١٩ الفائدة الثانية عشرة، ط. تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث . ولم يعلّقوا عليه بشيء .

(٢) أُسقط الحر العاملي من هنا عبارة (وله إليه عهد معروف) وهي موجودة في رجال العلّامة، ولعلها لم تكن في نسخة الحر العاملي .

(٣) خلاصة الأقوال في معرفة الرجال : ٢٢٠ الباب ١٨ من الفصل ١٨ من القسم الأول رقم ٧٢٩ الفائدة الثانية عشرة ط. تحقيق نشر الفقاهة ـ قم ١٤١٧ هـ ـ ولم يخصّه بشيء من التعليق والإشارة .

(٤) رجال الطوسي : ٣٨٩ رقم ٥٧٤١ .

www.noormags.ir

وهذا ما جاء في توقيع أي رسالة أو كتاب خرج من الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام إلى اسحاق بن اسماعيل النيسابوري، وهو كتاب طويل فيه شرح وتفصيل، أورده الكشي في رجاله، والذي يهمنا منه ما جاء في آخره من قوله عليه السلام: «والحمد لله فما بعد الحق إلّا الضلال، فلا تخرجنّ من البلدة حتى تلقىٰ العَمْري رضي الله عنه برضاي عنه، وتسلّم عليه، وتعرفه ويعرفك، فإنّه الطاهر الأمين العفيف القريب منّا وإلينا، فكلّ ما يُحمل إلينا من شيء من النواحي فإليه يصير آخر أمره؛ ليوصل ذلك إلينا، والحمد لله كثيراً» ثم يختتم الإمام رسالته بالسلام علىٰ اسحاق وعلىٰ الشيعة، ويدعو للجميع ويصلّي علىٰ محمد وآل محمد[1].

كان المُترجَم عالماً فقيهاً جليلاً محترماً عند الفريقين، أميناً علىٰ أُمور الدين والدنيا، موضع ثقة المسلمين في دار الإسلام[2]. وكان من جلالة القدر وقرب المنزلة من الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام بحيث كان حديث الشيعة في وقته، فقد روىٰ شيخ الطائفة بسنده عن أحمد بن اسحاق (بن عبدالله) بن سعد القمي (الأشعري) قال: دخلت علىٰ أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الأيّام، فقلت: يا سيّدي أنا أغيب وأشهد[3]، ولا يتهيّأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كلّ وقت، فقول من نقبل؟ وأمر من نتمثّل؟

فقال لي صلوات الله عليه: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعنّي يقوله، وما أدّاه إليكم فعني يؤدّيه».

فلما مضىٰ أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٥٨٠، ح ١٠٨٨.

(٢) مراقد المعارف ٢: ٦٢.

(٣) الظاهر هنا يقصد شهوده الموسم أي الحج، فإنه قد لا يتمكّن من الوصول إلى الإمام لظروف أمنيّة حسب الظاهر.

www.noormags.ir

العسكري عليه السلام ذات يوم ، فقلت له عليه السلام مثل قولي لأبيه ، فقال لي : «هذا أبو عمرو الثقة الأمين ، ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات ، فما قاله لكم فعنّي يقوله ، وما أدّى إليكم فعنّي يؤدّيه»[1].

وهناك توثيقات عديدة صدرت من الإمامين العسكريّين عليهما السلام بحقّ المترجم كلّها تصفه بالوثاقة والأمانة والعدالة ، لا نطيل بها ترجمته هنا مع أنها من مقتضيات الترجمة[2].

كما أنّ صاحب الأمر (عج) قد أثنى عليه ومدحه كثيراً عندما عزّى ولده أبا جعفر بوفاته ، وقد أورد الشيخ الطوسي رحمه الله فصلاً من رسالة التعزية تلك حيث جاء فيها : «إنّا لله وإنّا إليه راجعون تسليماً لأمره ، ورضىً بقضائه ، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً ، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام ، فلم يزل مجتهداً في أمرهم ، ساعياً فيما يقرّبه إلى الله عزّوجل وإليهم ، نضّر الله وجهه ، وأقال عثرته»[3].

وهو بعد هذا أحد الشهود الذين رأوا الإمام الحجة المهدي بن الحسن عليه السلام بُعيد ولادته ، وقبل وفاة أبيه العسكري عليه السلام ، جاء ذلك في خبر طويل اعتبره الشيخ الطوسي من مشهورات الأخبار ، عن جماعة من الشيعة وعدّ منهم بعض الأسماء منها : محمد بن معاوية بن حكيم ، والحسن بن أيوب بن نوح ، وأورد جملاً منه ، ونحن نورد بعضاً من تلك الجمل اختصاراً ، فالغاية هي بيان وثاقة المترجم ، ومدىٰ اعتماد الأئمّة عليهم السلام عليه في حفظ أسرارهم . ففي الخبر أن جمعاً من الشيعة حددته الرواية بأربعين رجلاً وكان فيه المُتَرجَم اجتمعوا إلى أبي محمد

---

(١) الغيبة ، الطوسي : ٢٥٤، ح ٢١٥ .

(٢) للمزيد راجع : غيبة الطوسي : ٣٥٥ ـ ٣٥٧ ، ح ٣١٦ ـ ٣١٩، بحار الأنوار / المجلسي ٥١ : ٣٤٤ ـ ٣٤٧ .

(٣) الغيبة : ٣٦١ ، ح ٣٢٣ .

www.noormags.ir

الحسن بن علي عليه السلام فقام من بينهم عثمان بن سعيد ليسأله عن الخلف من بعده فأجلسه الإمام عليه السلام، ثم بعد مدّة رأى الإمام عليه السلام الجو مناسباً لإجابة العَمْري عن سؤاله. فجاء بغلام كأنه قطع (فلقة) قمر ـ كما تصفه الرواية ـ أشبه الناس بأبي محمد عليه السلام، فقال: «هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنّكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله: وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم، والأمر إليه»[1].

وتعرف شدة جلالة قدره ومنزلته أنه هو الذي تولّى جثمان الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام بعد وفاته، فقد روى الشيخ الطوسي عن أحمد بن علي بن نوح، أبو العباس السيرافي، عن أبي نصر هبة اللّه بن محمد بن أحمد الكاتب ابن بنت أبي جعفر محمد بن عثمان العَمْري قدّس اللّه روحه وأرضاه، عن شيوخه، أنه لمّا مات الحسن بن علي عليه السلام حضر غسله عثمان بن سعيد رضي اللّه عنه وأرضاه، وتولّى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه وتقبيره، مأموراً بذلك للظاهر من الحال التي لا يمكن جحدها ولا دفعها إلّا بدفع حقائق الأشياء في ظواهرها[2]. وفي هذا القول إشارة إلى غيبة الإمام الحجة عليه السلام، وعدم تمكّنه من تغسيلِ والده، لكن معلوم أن الإمام المهدي عليه السلام الذي تولّى الصلاة على أبيه بحضور الملأ ودفع عمّه جعفر الذي أراد الصلاة عليه باعتباره على حدّ زعمه وريثه الوحيد، يمكنه أن يحضر في المنزل ويباشر هو غسل والده بمساعدة عثمان بن سعيد العَمري. ومن خلال التدقيق في لسان الرواية يتّضح أن

(١) الغيبة: ٢٥٧، ح ٢١٩، كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق ٢: ٤٢٥، ح ٢ باب من شاهد القائم ورآه وكلّمه، وراجع أيضاً إثبات الهداة، الحر العاملي ٣: ٤١٥، ح ٥٦ ففيه صدر الرواية، وأما ذيلها ففيه أيضاً ٣: ٥١١، ح ٣٣٧.

(٢) الغيبة: ٢٥٦، ح ٢١٨.

www.noormags.ir

عبارة الشيخ الطوسي بأن العَمري كان مأموراً بذلك، لعلّه ناظر إلى أمر التكفين والتحنيط والدفن. وليس الغسل في ضمنها، فالمقطع الأول يشير بوضوح إلى أنه حضر غسله، يعني أنه كان يصب الماء والإمام المهدي عليه السلام يباشر الغسل، ثم عطف بالواو جملة ثانية بأنّه تولّى أمره أي قام العَمري هو مباشرة في تكفين الإمام وتحنيطه ودفنه مأموراً بذلك. ولا تحسبنا أول من التفت إلى هذا الأمر، فقد سبقنا إلى هذا بيان الحجّة السيد الشهيد محمد بن محمد صادق الصدر المولود سنة ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٢ م والمستشهد على أيدي أوغاد النظام الدكتاتوري في العراق في (النجف الأشرف ٤ ذي القعدة سنة ١٤١٩ هـ) في كتابه تاريخ الغيبة الصغرىٰ[١].

ومن بعض الروايات يمكن التوصّل إلى أن العَمري كان من أوائل الذين علموا بولادة الإمام المهدي عليه السلام، بل ولعلّه من أوائل الذين رأوه أيضاً. فقد بعث إليه الإمام الحسن العسكري عليه السلام حين ولد له ابنه محمّد، وأمره أن يشتري له خبزاً ولحماً ويفرّقه على فقراء الهاشميّين احتفاءً بالمولود المبارك، ثم يأمره بأن يعقّ عنه بكذا وكذا شاة[٢]. ويبدو أن الإمام أبا محمّد أراه أصحابه في اليوم الثالث من ولادته[٣].

أمّا سنة وفاة المترجم فإنّها غير معروفة أيضاً على وجه التحديد، لكن السيد الشهيد محمد الصدر رحمه الله استقرب وفاته بحدود سنة (٢٦٥ هـ) وعليه فقد حدّد مدّة سفارته بخمس سنوات على وجه التقريب[٤].

أما ما ذكره السيد محمد مهدي بن محمد الموسوي الخوانساري

---

(١) تاريخ الغيبة الصغرىٰ: ٣٩٩ ط. الثانية ١٤٠٠ هـ.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق ٢: ٤٣١، ح ٦ باب ٤٢ ماروي في ميلاد القائم (عج).

(٣) المصدر السابق: ح ٨.

(٤) تاريخ الغيبة الصغرىٰ: ٤٠٤.

www.noormags.ir

الأصفهاني الكاظمي في كتابه : «أحسن الوديعة في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة» والذي هو تتميم لكتاب عمّ أبيه السيد محمد باقر الخوانساري الموسوم بـ«روضات الجنّات» ، من أن وفاة العَمْري في حدود سنة (٢٥٧ هـ)[١] ، ولم يذكر مصدر نقله ، فهو قول مستبعد ولا أظن أنه يقبل به لو عرف أن وفاة العَمْري بهذا التاريخ أو نحوه تكون في حياة الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ، وهذا معناه نفي السفارة عن العَمْري للإمام المهدي عليه السلام . فالسفارة مبدؤها بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام سنة (٢٦٠ هـ) ، والعَمْري كان حيّاً لدىٰ وفاة الإمام العسكري عليه السلام ، وهو الذي حضر غسله ، وهو الذي تولّى بنفسه تكفينه ودفنه ، ثم إن الإمام المهدي المنتظر (عج) قد عزّىٰ ولده بوفاته وأثنىٰ عليه الثناء الجميل ، كما مرّت الإشارة إليه . وهذا لا يكون مع وجود الإمام العسكري عليه السلام البتّة ، لأنه معلوم بداهة أن لا يكون إمامان في آن واحد إلّا أن يكون أحدهما صامتاً ، وعليه فلا يمكن قبول التاريخ الذي أورده الأصفهاني رحمه الله .

أقول : لعلّ الأرجح أن تكون وفاته بعد هذا التاريخ ، أي بُعيد وفاة الإمام الحسن العسكري في سنة (٢٦٠ هـ) بقليل ، أو قد تكون وفاته في أواخر تلك السنة ، وذلك بناءً علىٰ قول الشيخ الطوسي رحمه الله أن سفارة محمّد بن عثمان كانت نحواً من خمسين سنة[٢] . أي أنها تعدّت الأربعين سنة بقليل ، وقاربت الخمسين ، لأننا إذا قلنا بوفاة العَمْري سنة (٢٦٥ هـ) فإن سفارة ابنه أبي جعفر ستكون (٤٠) عاماً وهو رقم يبتعد كثيراً عن الخمسين . أما فيما لو قلنا بوفاة الأب سنة (٦٠ أو ٦١ أو ٢٦٢ هـ) فإنّ

(١) أحسن الوديعة، الاصفهاني ٢ : ٢٢٨ .
(٢) الغيبة للطوسي : ٣٦٦ .

www.noormags.ir

سفارة الابن ستقترب من الخمسين سنة أكثر، وتكون فعلاً نحو الخمسين. وعليه فإنّ سفارة عثمان بن سعيد ستكون في نحو التقريب بين السنة أو دونها وبين السنتين أو فوقها بقليل، والله العالم بحقيقة الحال.

إن هذا الغموض في وفاته ومدّة سفارته علىٰ وجه التحديد والقطع يعزىٰ إلى السريّة وشدة التكتّم علىٰ وجود الإمام المهدي (عج)، وبالتالي علىٰ وجود سفير له يتّصل به بين الفينة والفينة يدير شؤونه، ويعرّفه أحوال شيعته، ويأخذ منه التعليمات اللازمة لأشكال التحرك، وأُمور الدين والدنيا، في وقت كان الأمر عند السلطان أن أبا محمد عليه السلام مضىٰ ولم يخلّف ولداً، وقُسّم ميراثه، وأخذه من لا حق له[1].

فإذا كان هذا هو الجو العام الذي قدمنا، فكيف يجرؤ ويقول أنا وكيل الإمام المختفي عن الأنظار وسفيره بينكم وبينه؟ كلا.. فلم يكن الأمر بهذه البساطة والسهولة فالسفير لم يكن يعرفه ويعلم بحاله إلّا ثلّة خاصة من كبار الشيعة وعلمائهم، أي هو أيضاً كان له وكلاء مخصوصون في المناطق تصل إلية الأسئلة والحقوق وكان هؤلاء فقط يعرفون أن السفير يتّصل بالإمام عليه السلام ويأخذ الاشارات منه وجوابات المسائل ثم يوصلها إليهم وهم يوصلون الجواب خطا أو مشافهة إليه ليوصلها بدوره إلى الإمام عليه السلام.

فالسلطة لو علمت بالسفير طلبته وألقت عليه القبض، ولحقّقت معه في مكان وجود الإمام وطاردته وطلبته تحت كل حجر ومدر؛ لأنه معلوم لديهم أن الثاني عشر من الأئمّة عليهم السلام هو الذي سيزيل ملكهم ويستأصلهم من الأرض؛ لينشر في ربوعها العدل بعد أن امتلأت بظلم معاوية وابنه

(١) الغيبة للطوسي: ٣٦٠.

www.noormags.ir

يزيد ومن تلاه من بني أمية والحجاج وابن ارطاة والسفّاح والرشيد هارون ومن تلاه من بني العباس، هم كانوا يعلمون ذلك، وكانوا يرقبون مولده، ولكن إرادة اللّه شاءت أن تصرف أنظارهم عن ولادته ونشأته في أحضان أبيه إلى أن كبُر وترعرع غلاماً يافعاً حتىٰ ذهب أبوه إلى لقاء ربه فاستلم مهام الإمامة وهو صبي صغير كجده الإمام الجواد عليه السلام.

وهكذا كانت السفارة له عليه السلام محاطة بالسريّة والكتمان الشديدين خوفاً علىٰ حياة الإمام عليه السلام، فتسلمها العَمْري بكل هدوء ودون إلفات نظر، وكذا سلّمها لابنه بنفس الهدوء والسريّة ورحل من هذه الدنيا رحمه الله إلى جوار ربّه وأئمّته الأطهار الميامين دون ضجيج إعلامي، أو احتفاء جماهيري في التشييع والعزاء، فلا غرو إذا لم يعرف أحد تاريخ وفاته. أو يكونوا قد عرفوه لكنهم أخفوه خوفاً ـ من إذاعته ـ علىٰ ولده الذي تولّى السفارة من بعده، فالمشكلة نفسها، مشكلة الطلب، كانت ما تزال قائمة، والوضع السياسي كان يومذاك جداً خطير.

فالأصحاب في تلك الأيام لم يكونوا ليهتموا بالتاريخ كثيراً، وتثبيت الأحداث بالسنين والشهور والأيّام، بقدر اهتمامهم بحفظ سلامة الإمام عليه السلام، ثم سفرائه من أن تنالهم يد السلطة الحاكمة أو تعلم بحقيقة حالهم، وحتىٰ قبره رحمه الله فإنه في تلك الأيام لم يكن يُعرف علىٰ الحقيقة منذ وفاته بعد منتصف القرن الثالث وحتىٰ أواخر القرن الرابع وبدايات القرن الخامس حيث صرّح الشيخ الطوسي رحمه الله بأنه عند دخوله إلى بغداد سنة (٤٠٨ هـ) كان يزوره مشاهرة، ومعنىٰ هذا أنه قبل ذلك، وفي تلك الأيام الخوالي، كان يُزار سرّاً أو قد لا يُزار خوفاً من السلطان وعيونه المتلصّصة أثر شيعة أهل البيت عليهم السلام.

وبعد أن روىٰ شيخ الطائفة رحمه الله أنّ قبر عثمان بن سعيد في الجانب

www.noormags.ir

الغربي من مدينة السلام في شارع الميدان، في أوّل الموضع المعروف بدرب جبلة في مسجد الدرب يمنه الداخل إليه، والقبر في نفس قبلة المسجد.

وأخيراً حكىٰ لنا الشيخ مشاهداته الميدانية للمكان والقبر، وأعطانا وصفاً لأوّل عمارة لقبر أول سفراء الإمام المهدي (عج) منذ دفنه وحتىٰ سنة نيّف وثلاثين وأربعمائة، ثم أول تعمير وصيانة لمرقده الشريف بعد ما يقرب من مئة وثمانين عاماً، فقال: رأيت قبره في الموضع الذي ذكره ـ أي أبو نصر هبة الله بن محمد بن أحمد الكاتب[1] ابن بنت أبي جعفر محمد بن عثمان العَمْري، فهو الذي حدّد مكان القبر ـ وكان بُني في وجهه حائط وبه محراب المسجد، وإلى جنبه باب يدخل إلى موضع القبر في بيت ضيّق مظلم، فكنّا ندخل إليه ونزوره مشاهرة، وكذلك من وقت دخولي إلى بغداد، وهي سنة ثمان وأربعمائة إلى سنة نيّف وثلاثين وأربعمائة.

ثم نقض ذلك الحائط الرئيس أبو منصور محمد بن الفرج وأبرز القبر إلى برّا ـ أي إلى الخارج ـ وعمل عليه صندوقاً وهو تحت سقف يدخل إليه من أراده ويزوره، ويتبرّك جيران المحلة بزيارته، ويقولون: هو رجل صالح، وربما قالوا: هو ابن داية[2] الحسين عليه السلام ولا يعرفون حقيقة الحال فيه، وهو إلى يومنا هذا ـ وذلك سنة سبع وأربعين وأربعمائة ـ علىٰ ماهو عليه[3]. من ذلك نعرف مدىٰ التكتّم والحيطة والسريّة التي كانت تحيط بموضوع الإمام المهدي عليه السلام واختفائه عن الأنظار، وكذلك سفرائه خاصّة الأول منهم؛ لأنّ السلطة آنذاك كانت تتحسّس وجود شيء ما وراء رحيل

(١) قال النجاشي في الرجال ٢: ٤٠٨ رقم ١١٨٦: هبة الله بن أحمد بن محمد الكاتب، أبو نصر المعروف بابن برنيّه.
(٢) الداية (فارسية) وتعني: القابلة.
(٣) الغيبة: ٣٥٨.

www.noormags.ir

الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ؛ لكنها ما كانت تظفر بشيء تمسك به .

ولا نعلم بعد ذلك عمارة له أو وصفاً لمرقده حتىٰ جاء البحّاثة الشيخ محمد حرز الدين (ت / ١٣٦٥ هـ) فقال : «زرناه في العهد العثماني بالعراق سنة ١٣٠٥ هـ ، وكان علىٰ قبره صندوق قديم ثمين يُعهد صنعه إلى الرئيس أبي منصور محمد بن الفرج ، وكان عليه قبّة ، وله حرم مجلّل»[١] .

وبعد هذا التاريخ نقل السيد محمد مهدي الموسوي الأصفهاني في «أحسن الوديعة» أن قبره خلف دائرة البريد بما يلي سوق الميدان ، وقد جدّدت عمارته في هذه السنة شيعة بغداد ، ورغم أنه لم يذكر أي سنة لذلك، لكن مراده واضح ، فالسنة التي عناها التي هو فيها أي وقت كتابة عباراته تلك ، ومن الرجوع إلى تاريخ خاتمة الكتاب ، والموضوع الذي كتبه هو في أواخر الكتاب أيضاً ، يتبيّن أنه أراد سنة (١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩م) .

والذي يؤيّد هذا الاستدلال ما صرّح به ولد الشيخ حرز الدين الذي حقّق كتاب والده «مراقد المعارف» ، قال : بأنه زار قبره سنة (١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م) والتقط صورة لقبّته الصغيرة التي علىٰ القبر ، ثم قال : «وكان قد كُتب علىٰ واجهة بابه من سوق الميدان : (هذا مسجد نائب الإمام عليه السلام عثمان بن سعيد العَمْري العسكري بتاريخ ١٣٤٨ هـ)»[٢] .

أهم مصادر ترجمته :

أعيان الشيعة ، الغيبة للطوسي ، رجال الطوسي ، خلاصة أقوال المعروف برجال العلّامة الحلّي ، رجال ابن داود ، نقد الرجال للتفريشي ، وجميع كتب الرجال إضافة إلى المصادر التي ذكرناها في الهوامش .

---

(١) مراقد المعارف ، حرز الدين ٢ : ٦٢ .

(٢) المصدر السابق : ٦٣ .

www.noormags.ir